مركزية "اقرأ" في التاريخ البشري "اقرأ والطوفان"

أ.د. محمد بنعياد

جامعة محمد الأول-المغرب

الملخص:

محاولة في تقديم تحقيب تاريخي اعتمادا على نظام "اقرأ" لتجاوز التحقيبات السائدة، بعيدا عن تاريخ الدول والعرق والجنس. يقدم نظام "اقرأ" (الوحي) المنزل من السماء إلى الأرض تصورا واضحا عن الماضي والحاضر والمستقبل، ومحاولة في التخلص وتجاوز طوفان الكتب والمجلات... التي تلتهمنا.

تقديم بوصلة إبحار للقاء جديد مع مجموعة من الأنبياء والرسل في القرآن (نظام اقرأ)، وعرض خريطة وجود أصلية للتحرر من التاريخ المريض والمزمن، للخروج من عصر التيه والجنون.

The Centralism of "READ" in the humanty history "READ and the Flood"

DR. Mohamed BENAYAD
Mohammed I University–Morocco

Abstract

Essay to introduce the Human history based on the ‘’READ SYSTEM’’ to over step the periodization, a way from the history of countries, races and gender the system read’’ that descended from the sky gave a clear vision of the past, the present and the future. It’s also an essay to overcome presentation of compass to navigate in order to have a meeting with groups of prophets and messengers in the Quran (SYSTEM OF READ) and release a map that leads to free from the chronic ill history and also to escape and get out of the era of lost and insanity.

المقدمة:

إن المتتبع للتاريخ البشري سيجد نفسه أمام عدة مدارس تاريخية، ومدارس فلسفية وسياسية، اقتصادية، نفسية وفنية، ولسانية وسيمائية، ومدارس في القراءة ونظريات في التلقي عن المخلوقات.

إنتاج هذه المدارس تحول إلى جبال من الكتب والمجلات الورقية والرقمية يصل عددها إلى المليار، إنها حقا طوفان يصعب مواجهته والإحاطة به، باختصار يحتاج إلى فتوى في القراءة والآراء للتخلص من هذه السلسلة الطويلة من الإفساد والمتعددة الأبعاد التي صنعت الغيبوبة والتيه للبشرية.

وفي هذا السياق يأتي هذا المقال المسطور كمحاولة في فصل الخطاب أو الخطاب الفصل في تناول التاريخ البشري ووضعه الحالي من منظور مفهوم الزاوية الاستثنائية التي تعلو كل أنواع الزوايا التي لم تستطع رفع الخلاف في العلوم الإنسانية للإنسان الابتر. والذي أصبح خصما وحكما في الوقت نفسه دون وجود خطاب أو حكم ثالث.

ومفهوم الزاوية التي سنعتمدها كالآتي:

إن أمر "اقرأ" نظام رباني خارج أي تقسيم اصطلاحي أو تعريف بشري، وكذلك مخالف لكل أنواع الكتابات نظما ورسما، كما هو مختلف عن القراءة المعتادة للكتب والمجلات.

نظام "اقرأ" هذا: أنزل ونزل من السماء، سنمثله هندسيا بخط عمودي من السماء إلى الأرض، وتطبيقه والعمل به في الأرض وعلى الأرض ما دام تعاقب الليل والنهار وما دامت السماوات والأرض، ووصوله إلى الأرض يتخذ خطّاً أفقيا، فنكون أمام رؤية بزاوية قائمة، في اتجاه الماضي وأخرى تمثل الحاضر والمستقبل وهو مفهوم هندسي قيمته تسعين درجة، وهي القيمة أو الزاوية المعتمدة في المعمار والبناء السليم والمتين. وكل ما هو أقل من تسعين درجة في زاويته مآله السقوط وإن بدا شامخا إلى حين.

ولاشك أنك سمعت كثيرا في الخطابات الحديث عن الزاوية حتى أصبح لكل تخصص زاويته، فأصبحنا أمام تصنيفات كثيرة للزاوية حين أخرجت من مجالها الهندسي إلى الفضاء السياسي والاجتماعي والتاريخي، وهكذا أصبحت تردد في المنتديات، والمتلقي في غفلة عن هذا، وهي عبارات تفتقد إلى العقلانية والتحديد، وأصبحت مجرد تعبيرات أو زخرف قول وظيفته تزيين الخطاب بطلاء فاسد.

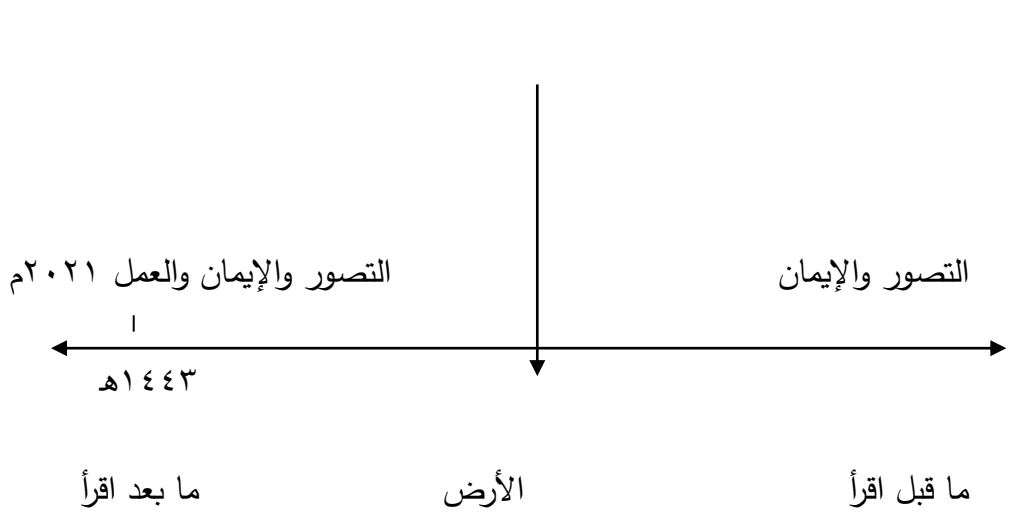

اقرأ في عصر النبي: مدة النزول ٢٣ سنة ٦١٠م-٦٣٣م (١٢ قبل الهجرة – ١١ هـ)

يبين لنا الرسم البياني أن نظام "اقرأ" رؤية بزاويته القائمة لا ينحاز إلى لون أو عرق، كما يمكن القول إن نظام العلاقات بين المخلوقات إما ظاهر أو سري أو خفي (ومنه عالم الغيب) ونظام مادي وغير مادي، وتبقى العلاقة الأكبر هي بين السماء والأرض هل هي مادية فقط؟

إن تسمية الأشياء بغير أسمائها هي أكبر علو في الأرض وأكبر إفساد، إنه التضليل والتيه التاريخي.

"أما اتخاذ التاريخ موضوعا للدراسة، نعني الفتح التاريخي للتاريخ، وهو أمر مفترض سلفا بالنسبة إلى شيء من قبيل "بناء العالم التاريخي في علوم الروح"[١]

﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**﴾ [الشورى:٥٢]

﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾[القلم:١]

والسطور التي نقدمها لك أيها القارئ: محاولة لرفع ثقل جبال الكتب عنك، وتقديم خريطة وجود أصلية، والتحرر من التاريخ المريض الذي أنتج عصر الجنون، والرجوع ثانية إلى نظام "اقرأ" (الوحي) لتأسيس تاريخ خالص بالعقل الخالص، لأن التاريخ المريض لا ينتج إلا دماغا مريضاً.

وبناء على ما سبق يكون مقالنا باختصار مقدمة في تركيب أجزاء البوصلة لركوب سفينة النجاة من هذا الطوفان –الذي أشرنا إليه سابقا– المتعدد المظاهر والأبعاد، ونقصد بأجزاء البوصلة ما يأتي من فقرات هذا المقال، الذي يتوجه إلى من يعانون مثلي، لإيجاد سبيل يختصر المسافات ويختصر الزمن لتقديم صورة مختصرة ومركبة عن تاريخ البشرية بتحقيب مخالف ومتجاوز للتحقيبات السائدة في المدارس التاريخية وغيرها، التي اعتمدت مركزية الإنسان في الوجود واقتراح تحقيب قائم على مركزية السماء، لأن الإنسان الذي لا يستطيع تعريف نفسه وتحديد نشأته، كيف له أن يقدم لنا تحقيبا يزيل الظلام، هذا الظلام أصبح محرقا وسجنا للبشرية والكل يصرخ هل من سبيل للخروج..؟

إنه سبيل: "اقرأ" بالعربي نظام خالقك... !

القلم والطوفان:

إن الصورة النمطية السائدة لدى الشعوب، أن الطوفان هو طوفان الماء، والطوفان المشهور في تاريخ البشرية هو الطوفان على عهد نوح عليه السلام، وبما أن اللفظ في اللسان العربي له ظاهر وله بطون أو أوجه أخرى، أو حضور متعدد، يترتب عليه وجود أنواع من الطوفان، وإن سلمنا بوجود أنواع من الطوفان، فهل يستطيع قلم ما مواجهة ولو طوفان واحد والإحاطة به.

إن اخطر طوفان ستناوله، هو طوفان الكتابة، حرفة خطيرة، ومليئة بالتحدي، بل تحولت الكلمات إلى مشانق للبشر، وما تعيشه البشرية اليوم، من مشاكل وتعقيدات بنسيج متعدد التخصصات والأبعاد، أصبح ظلمات بعضها فوق بعض، أو بعضها متداخل مع بعض.

وتشكل هذه المشاكل سجنا لشعوب تحكمها نخب لها سجنها الخاص، إما الإتباع أو القتل/ إما أن أحكمك أو أقتلك، هذا التعقيد والضلال والقهر، جعل الحليم حيرانا، والعاقل لا يهدأ له بال.

مشاكل البشرية اليوم أساسها طوفان من الكتب، طوفان من اللغات، طوفان من الترجمات، طوفان من المقالات والمجلات، طوفان من المعلومات والأخبار، طوفان من الدروس والتخصصات، طوفان من الخيال والمكر، طوفان من الكذب وطوفان من الإجرام، والحروب، طوفان من الأقنعة، طوفان من الجامعات، طوفان من الإيديولوجيات والأفكار، طوفان من الآلهة، طوفان من الاستخبارات والجيوش، طوفان بدولار وهمي القيمة، طوفان من أشباه العلماء وأشباه السياسيين وأشباه علماء الاجتماع، طوفان من السلع والعلامات التجارية، طوفان من التكنولوجيا والالكترونيات، طوفان افتراضي، طوفان من المكالمات الهاتفية، طوفان من النسيان.

إن كل هذه الأنواع من الطوفان، أصبحت تكون طوفانا من الكتب والتواريخ لم يسبق له مثيل في تاريخ الإنسان، وباختصار طوفان من الحروف والأرقام.

إننا في محطة وجودية من التاريخ تحتاج إلى تفكير عميق، وتدبير حكيم ونور يبدد الظلمات بتأسيس أثر للسير المفتوح عوض السير الذي وصل إلى الأبواب المغلقة، فقد فيه العالم معالم الطريق، وما الأداة إذن؟ إنه القلم، ومن أين لنا بقلم يكون بوصلة للعالمين؟

البداية قلم والنهاية قلم، وما بين النهاية والبداية قلم:

إنه قلم "اقرأ". وهنا نعود إلى عنوان المقال: "مركزية "اقرأ" في التاريخ البشري "اقرأ والطوفان".

إن تناول مركزية "اقرأ" هو تناول للتحقيب التاريخي للإنسان، لأن التحقيبات السائدة، جعلت من الإنسان مركزا ينبغي على الجميع أن يدور في فلكه التاريخي، وكأن هذا الفلك هو الراعي الأول لمسيرة الإنسان، جاعلا من نفسه إلها بعد أن تنكر للإله الواحد القهار الذي خلقه، ولنأخذ التحقيب التاريخي الأوروبي السائد على سبيل المثال.

جعل هذا التحقيب من سقوط روما ٤٩٥م نهاية تاريخه القديم دون الخوض والتمحيص لما سماه ما قبل التاريخ، الذي اتبع فيه الظن ومنطق الاحتمال، وهل للظن والاحتمال قاعدة صلبة وثابتة.

ومن سقوط روما ٤٩٥ م إلى القرن ١٥م سماها العصر الوسيط فقسمه بدوره وفصله إلى عصور: عصر وسيط أعلى، وعصر وسيط أوسط، وعصر وسيط ادني أو أسفل، ومن نهاية القرن ١٥ م وبداية القرن ١٦ م إلى حدود الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م، سماها العصر الحديث ومن الثورة الفرنسية إلى اليوم سماها التاريخ المعاصر، لكن كيف سيسمي العقود والقرون القادمة التي ستطوي ما يسميه بالتاريخ المعاصر؟ والجواب: لا شك أنه سيتبنى إيديولوجية فلسفة مقولة "ما بعد" على غرار "ما بعد الحداثة "و"ما بعد بعد الحداثة"، وعليه سيكون الحل سهلا، وهو اقتراح مقولة "ما بعد المعاصرة"، إنه أمر يدعو إلى الضحك عند الغفلة أحيانا، ويدعو إلى الحسرة والمرارة، بل يؤشر على عودة أو كرة خاسرة أمام زجرة واحدة.

والغرابة التي يثيرها هذا التحقيب، هو اتباع المسلمين له، وتبنيه في الحسابات الزمنية والتصورات، بينما مسار التاريخ ليس واحدا، وإذا ما قبلنا بالمنطق الأوروبي في التحقيب، نقول للمسلمين: انتم الآن لستم في التاريخ المعاصر، إنكم انتقلتم من القوة والفعل في التاريخ، وصناعته، إلى ضعف، هو تاريخكم الوسيط الذي تحتاجون فيه إلى ولادة جديدة او نهضة كبرى، كما ترجمتم ذلك وسطرتموه في كتب التاريخ، اعلم أن من يردد خطاب السيد هو العبد، والعبد لا يمكن أن يتحرر إلا إذا أنتج خطابه الخاص، وتصوره الخاص، المتجاوز للسيد، إنك أيها المسلم كنت يوما معلما، فأصبحت اليوم مجرد تلميذ بئيس، ونسيت تعلم البيان من خالقك الخبير العليم، ولن تقوم قياما أو قومة إلا بتجلي أسماء الله عليك كاسم العليم والحكيم والعزيز...

إنه القيام بتجلي أسماء الله الحسنى فيك، هي مفاتيح الخلاص، وقيادة السفينة في ظل طوفان يقوده الاستكبار والجبر مع الخوف والترقب في ظل التيه والضلال، وفقدان بوصلة الخير التي هي نجاة البشرية من الغرق التاريخي، في الطوفان الفاسد والمركب.

وعلى ذكر التاريخ، نورد السؤال الآتي: هل التاريخ تخصص كما تعارف عليه الأكاديميون؟

إن التاريخ ليس تخصصا، إنه كل آثار الإنسان، وهل يستطيع احد الإحاطة بآثار الإنسان، وبالأخص منها الكتابة، وعلى ذكر الكتابة، ليس هناك جرائم اخطر في تاريخ البشرية من جرائم الكتابات الفاسدة.

إن المؤرخ المسلم عليه أكبر مسؤولية أمام الله وأمام بني الإنسان لإعادة المسار التاريخي للبشرية إلى سكة الصواب، وعليه أن يتخلص من صفة المؤرخ الأبتر التي لبسها على غرار أكثر المؤرخين في العالم، وتقصد بالأبتر الانفصال عن الوحي في الكتابة.

إن أول ما يجب على المؤرخ المسلم أن يعرف أن التاريخ غير مفصول عن دين الإسلام، هذا الدين بدأ بآدم وختم بمحمد (اللهم صل عليه وعلى آله) وعلى هذا الأساس جاء عنوان مقالنا (مركزية اقرأ) لتقديم تحقيب جديد للبشرية، مما يستدعي تحرير وتحديد المفاهيم على قاعدة المقولات الآتية:

-تاريخ الإسلام: هو دين الله الذي بدأ مع آدم عليه السلام وختم بمحمد عليه الصلاة والسلام، وعليه يكون محمد النبي الخاتم للإسلام الخاتم.

-تاريخ المسلمين: يبدأ بأبناء آدم عليه السلام وينتهي باتباع عيسى عليه السلام.

-تاريخ الإسلام الخاتم: هو مدة البعثة النبوية التي دامت ٢٣ عاما.

-تاريخ المسلمين مع الإسلام الخاتم: يبدأ بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى اليوم، وما سيأتي من عمر البشرية.

إننا اليوم نحترق في أفران الحكم والتعليم الجبري، والمرحلة القادمة هي الخلافة على منهاج النبوة، وعلى صخرة المنهاج، ستندحر المناهج، وتصبح في خبر كان.

والمؤرخ المسلم الذي يريد أن يخوض في التاريخ بلا دين الإسلام كالراغب في الإبصار بدون عيون، فهل العلوم المفرغة من المضمون وسيلة للإبصار؟ إنها مجرد ذر رماد في العيون، وقلم صاحبها مجرد زخرف قول يرتزق به، وما دام النصر الآن للزخرف فلا شك أن أمد حياته واستمراره قد انتهى، وبدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة.

من هنا، فإن الإحاطة بآثار الإنسان ومساراته تحتاج إلى نظرية في القراءة من وجهة نظر تصور وضعي، إلا أن الشيء الذي أصبح مؤكدا، أن نظريات القراءة أثبتت فشلها في إنقاذ البشرية، بل أنهكت الإنسان إلى درجة الغثيان، وأصبح المتلقي عن المخلوقات مجرد منتوج بشري، أي الإنسان ينتج الإنسان على حد تعبير إدغار موران، بل نخلص إلى القول أن الإنسان: أصبح مجرد منتوج تاريخي ممزق ومريض.

إن هداية الإنسان تحتاج إلى نبوة وأنبياء، إلا أن هذا الدور تقمصه مجموعة من الفلاسفة، فأصبحوا أنبياء لكل واحد منهم اتباع يحارب من اجل أفكار وهمية وصنمية، والخطر لما يصبح الفيلسوف هو نبي الدولة، إلى أن وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من فشل النظريات والتجارب البشرية، وهذه هي حصيلة القلم البشري، القلم البشري أدى إلى إغراق البشرية في ظلمات الكتابة والكتب، فتفرقت بها السبل، بناء على الكتب وكتب مناهج البحث، فحصل تحالف بين أصحاب الكتب التي قيل أنها معرفة، وأصحاب كتب مناهج البحث، لتمزيق الإنسان فأصبح الإنسان في محرقة سجن العلوم الإنسانية يحتاج إلى مخرج منها عوض المدخل الذي يدرس للطلاب على المستوى العالمي.

إن منطق الاحتمال يقول: أمام هذا الطوفان من الكتب لا شك أن هناك كتابا معينا هو مفتاح هذه التعقيدات البشرية، وإخراجها من الكوارث التي أصبحت تتخبط فيها، هذا الكتاب هو الذي بدأ بأمر "اقرأ"، وهذا الأمر "اقرأ" هو الذي ينبغي توضيحه باعتباره نظام وتصور لعالم الغيب وعالم الشهادة.

بداية اقرأ (اقرأ بالعربي).

بدأ أمر "اقرأ" في كهف جبل حراء بين جبريل عليه السلام والرسول العربي محمد عليه الصلاة والسلام وعلى آله. رسول بعث في وسط قبائل العرب، لسانها لسان شعر، قبائل تراوحت علاقاتها فيما بينها بين التناحر والصراع والتحالفات.

كان الشاعر هو وزير الدفاع والإعلام، وكان للشعر سوق خاص هو سوق عكاظ بزعامة وإشراف قبيلة قريش أي كان للكلمة سوق خاص يتم فيه التباري والحصول على الشرعية الشعرية، كان شيخ القبيلة شخصا مركزيا داخل كل قبيلة، إلا أن قريش وشيخها يشكلان استثناء، إذ قريش هي القبيلة المركزية، وشيخها مركزي ضمن تشكيلة القبائل أو مجموع القبائل العربية. وعرف الشعراء العرب باللسان الفصيح والبليغ، إلا أن لسان الشاعر لم يتجاوز في دائرة رؤيته القبيلة التي يمثلها، أو القبيلة المتحارب معها أو المتحالف معها.

والشيء المبهر أن الرأسمال اللفظي العربي وما يخفيه من كنوز في بطونه، كان اكبر من تصور ونظرة الشعراء، إذا استثنينا بعض شعر الحكمة كشعر زهير بن أبي سلمى على سبيل المثال.

في هاته الأجواء سيبدأ أمر "اقرأ" في قبيلة قريش لينثر في أرجاء الجزيرة العربية، والتي كانت محاطة بقوى كبرى كالفرس والروم.

هذا الأمر "اقرأ" سيبدأ معه فجر جديد في تاريخ العرب وتاريخ البشرية كلها، فماذا يعني أمر "اقرأ"؟

ماذا يعني أمر "اقرأ"؟:

جاء في القصة البوليسية القصيرة بقلم الأديب الأمريكي إدجار آلان بو بعنوان "الخطاب المسروق، والتي نشرت ١٩٤٥م، والفكرة مؤداها أن السارق وضع الخطاب المسروق على المكتبة أمام أعين الجميع، ولكن في غلاف آخر، فضلل الكثيرين، هذا الخطاب المسروق،

يحيلنا على ما تعرضت له الكتب والألواح التي بعث بها الأنبياء والرسل من سرقات وإخفاء، وعوضت بكتابات أخرى، وتم الادعاء فيها بأنها من عند الله، وفي هذا السياق نزل أمر "اقرأ" ليفضح الإخفاء والادعاءات، والوأد للأمانات، التي كلف بها الرسل لتبليغها، وعلى النقيض جاء أمر "اقرأ" ليثبت المؤمنين ويفضح الخونة، بنظم لم يسبق له مثيل، في كتاب يختصر "القراءات"، كتاب له القدرة على طي ودفن ملايير الكتب التي أغرقت بها البشرية، كتاب محيط يحتاج إلى تفعيل هذه الإحاطة في يوم لا محيص فيه عن الخطة بالقلم، ومنذ البعثة المحمدية والمسلمون يرددون "اقرأ" بتصور ضيق وأقل من حقيقة دائرة "اقرأ" الكلية ويتضح هذا باعتبار أمر "اقرأ" هو "تحرير القراءة من المفاهيم الجامدة للتلقين الغبي، إلى قراءة ما هو غير مكتوب في بطون الكتب، إنه دعوة إلى قراءة الكون المفتوح... كتاب النفس الإنسانية في كل نزعة خير ونزوة شر، وعاطفة حب تسمو بها النفس، نحو الجمال والسمو، او تهوي بها نحو الرذيلة والانحدار"[٢].

أمر اقرأ: "ظل مفهوما ثانويا ومرتبطا بالقراءة التقليدية الجاهزة للمجلدات والكتب التي سطرها الأولون"[٣].

ومن جانبنا نضيف، أننا مرتبطون ومتبعون لما سطره الأولون والمعاصرون، ولو استمررنا في غفلتنا، مع غياب العزم سنصبح جميعا صيدا وضحايا لما يسطره أعداء الحق وأعداء البشرية في إطار برمجة قائمة على إخراج يعود إلى مئات السنين، واليوم تضاعفت وتيرته.

إن أمر "اقرأ" بسم ربك الذي خلق أمر حي على الدوام، يدعوك للدخول في النظام القرآني، أي النظام الرباني، والدخول في هذا النظام يترتب عليه هجران النظام البشري الوهمي المتوارث، إنه القطيعة الكبرى المنتظرة، قطيعة مسكوت عنها، ويروج إلى أنواع من القطيعة تمثل تأسيسا للتضليل.

أما لو وقفنا عند درس تصريف الفعل، وعلى سبيل المثال فعل كتب، يصرف كتب، يكتب، وكتابة، ومع فعل قرأ يقرأ، قراءة، لكن ماذا لو قلنا بالتصريف الآتي: قرأ، يقرأ ، اقرأ،

سيكون أمر "اقرأ" يتصدر الأولويات، سترى أيها القارئ أن ما يهمك بالدرجة الأولى: صيغة "اقرأ" وليس قرأ ويقرأ.

وأمام "اقرأ" نجد نفسنا أمام أمر جامع لماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، صيغة الأمر هاته: أنهار من العلم، وكهوف من العلم، بل بحار من العلم، إنه الكوثر وتكوثر العلم الذي يفوق كل قدرات الإنسان، سواء على مستوى التصور الكلي، أم على مستوى القدرات الخيالية، إنه أمر يفوق الإنسان، ويفوق كل التاريخ وكل المدارس، وكل الجامعات، وكل المناهج.

وبناء على ما سبق يكون أمر "اقرأ" أكبر من كل نظريات القراءة، إنه أمر بالدخول في نظام رباني أكبر من أي تصور وضعي، بل أنه اكبر وأعلى من كل علماء الدنيا.

إن نظام "اقرأ" هو الولادة الجديدة للوعي ولعقل الإنسان، التي حدثت في جبل حراء وتحديدا في كهفه، ومخاض هذه الولادة والوعي تم في فترة وجيزة لم تتعد ثلاثة وعشرين عاما، مثلت عمر الدعوة النبوية، هذه الفترة حقق فيها النبي محمد عليه الصلاة والسلام تجاوزا لكل تنظير تاريخي، هذه دعوة تلقي بظلالها إلى اليوم، وهو الإنجاز العظيم الذي عجزت عنه كل جيوش المسلمين اليوم وكل جامعاتهم وكل ثرواتهم التي تقدر بالمليارات.

إن الرسالة المحمدية تقاوم اليوم رغم المؤامرات والكيد والحرب المستمرين سواء ممن هم من قوم الرسول صلى الله عليه وسلم أو من غيرهم.

ومنذ البعثة المحمدية مثل رأس "اقرأ" شجرة العلم والمعرفة التي أنارت طريق الإنسان، أما اليوم نشهد الغرور والاستكبار من قبل قوى الاستكبار ومن يدور في فلكها، استكبار تأله وينازع خالقه، ليفسد ما أسسه أمر "اقرأ" إنه الإفساد الثاني، الإفساد الكبير والعام، لأن المقصد الأسمى لنظام "اقرأ" هو الحرب الشاملة على جميع أنواع الفساد، والإصلاح المتعدد الأبعاد.

التاريخ قبل نظام "اقرأ" الخاتم:

يخبرنا القرآن عن تعاقب سلسلة من الأنبياء والرسل، والتعاقب كان دوما دعوة إلى

الإصلاح والتذكير بالله، ورغم طول هذه السلسلة فإنها لم تنفع مع الإنسان، لأنه يعود دائما إلى الإفساد والفساد، كما انه المخلوق الذي كان أكثر شيء جدلا.

ومن آدم إلى عيسى عليهما السلام نقف على سلسلة من الأنبياء والرسل منهم من جاء قصصهم في القرآن ومنهم من لم يتم ذكرهم، هذه السلسلة صحبتها سلسلة صحف وألواح وزبر وكتب وهذا يدل على أن العلم الخالص عند الإنسان الأول (آدم عليه السلام) بدأ ربانيا، وأن أول تعليم وأول كتاب كان ربانيا، فهل حافظ الإنسان على تلك الكتب وتلك التعاليم؟

لقد تنكر الإنسان لتلك الكتب وتلك التعاليم، والسؤال المحوري والمركزي هو: ما مضمون تلك الكتب وما تعاليمها؟

إن المضمون اختزله رب العالمين في لفظين: دين الإسلام أو دين الله، دين جميع الأنبياء والرسل، وأتباعهم حقا هم مسلمون، تلك الكتب كان من المفروض أن تكون مؤسسة، لكنها استبدلت بالكتب والمكتبات، تلك الكتب ومعها الكتب المتداولة اليوم فقدت صلاحيتها وانتهت بعد تدخل يد الإنسان عابثة بها، تكتب ما يمليه عليها هواها لتدعي أن ذلك من عند الله أو انه الكتاب الذي يمثل العلم والعقل عوض الدين.

وبما أن الكتب السماوية السابقة لم تكن تحمل عناصر البقاء، جاء الكتاب الخاتم القرآن بالأمر العظيم، أمر "اقرأ" وهذه المرة محفوظا من عند الله ومتواترا، حاملا لسلسلة الوجود ولعناصر البقاء في مواجهة انحراف التاريخ البشري وظلمه وظلماته، بل متجاوزا له ومهيمنا عليه، إذ أمر "اقرأ" ليس خبرا فقط، بل نبأ عظيم، يصور ما هو سابق لاقرأ وما يجري بيننا وما سيأتي، إنه الإصلاح الشامل الذي يتجاوز كل قنوات الأخبار، ولم يكتف جحود الإنسان بمعارضة الأنبياء وقتلهم بالإضافة إلى تحريف الكتب المنزلة، بل أصابه الغرور وتأله ظانا منه أنه استغنى ونسي خالقه بادعاء "العقل والعقلانية" وهو مجرد دماغ غبي لا علاقة له بالعقل، وأصبح مستكبرا في الأرض، مشرعا وعارضا لسبل ضلال سماها تخصصات ومناهج علمية، وإذا كنا قد قلنا سابقا أن القرآن يحمل عناصر البقاء لمواجهة التضليل التاريخي باسم العلم، فهو

ليس مجرد قول عاطفي، أو نزوة أشعار وهو ما سنوضحه بتناولنا للتحول الذي أحدثه أمر نظام "اقرأ".

التاريخ البشري مع بداية نظام "اقرأ":

اقرأ أصبحت مكينة منظمة ومحرك للعلوم:

المقصود بالمكينة[٤] ليس المكينة الصناعية، ولكنها مكينة تنتج نظاما على أنقاض الفوضى، يحمل صاحبها طاقة نورانية تندحر أمامها الأشكال والأشباح.

وإذا ما حاولنا الوقوف عند كلمة مكينة بالتقطيع: (مكي+نة) = مكينة ومكة أم القرى وقرية مكينة. الم ينطلق منها اللسان المكين لسان الوحي، هذا اللسان المكين اشتغل ليكتسح كل مجالات التمكين التي هي نفسها حركت لسان التمكين، إنه اللسان المنطلق من جذور البدايات، والبداية هي أساس اللسان الأصلي، أما البداية المصطنعة فهي مجرد بداية وهمية، ولسان التمكين الذي انطلق في مكة سيكون له عودة تعلو ما "بعد بعد الحداثة" بمنهاج يعلو المناهج.

هذا التمكين الأول يعكسه انتشار نظام اقرأ في الجزيرة العربية، وبعد أن اكتسح المشرق انتقل وارتحل إلى بلاد المغرب، أصبح اللسان العربي[٥] لسان العلم وركيزته، أصبح المسلم معلما لغيره وأصبح اللسان العربي يساوي العلم، وهنا ينبغي طرح السؤال الآتي: لماذا لم يتزعم العرب الحركة العلمية قبل نزول الوحي بأول أمر، هو اقرأ؟

والجواب: الرأسمال اللفظي للسان العربي كان يعيش انحباسا، وما هو إلا دليل على انحباس الإنسان العربي، ولكن لما وظف الوحي اللفظ العربي نقله ورفعه من الجمود العربي، وضيق الأفق، إلى مجال أوسع يهم العالمين، إنه فتق اللسان العربي بعد ان كان في حالة رتق، وهذا الفتق والابتعاد العظيم أصبح معه اللفظ العربي غنيا وفي حالة تكوثر ليس له مثيل، أصبح للفظ ظاهر وبطون مع التوظيف الجديد والسياقات الجديدة التي خصبت الحمولة الدلالية للفظ العربي لأن هذه الألفاظ والكلمات (كلمات القرآن) "لو تعلمون قد نزلت من السماء محملة بقوة

غيبية أقوى مما يتصوره الإنسان لأنها جاءت من عند رب الكون تحمل الكثير من أسرار الملك والملكوت وهي جميعها مفاتيح لتلك الأسرار"[٦].

ومن تلك الأسرار التي تستحق العناية على سبيل المثال لا الحصر، أسرار الأنبياء الذين تم اللقاء معهم في آيات القرآن وسوره، وهذه العناية تدعو إلى تناول اقرأ والأنبياء والرسل:

اقرأ والأنبياء والرسل:

حينما نقرأ القرآن، ونتلوه ونرتله، فإننا نستمع لكلام الله الذي بلغه بواسطة جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لأن تفضيله غير مسبوق، فالظاهر أننا مع محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن وحده، وفي العمق يصبح لقاؤنا مع سلسلة من الأنبياء والرسل، لكن ليس كل الرسل وهو البيان الذي جاء في قوله تعالى:

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ [غافر آية ٧٨.]

يقدم لنا القرآن سلسلة من أسماء الرسل، منها ما يحمل اسم السور كهود ويوسف وإبراهيم، ونوح، وأسماء وردت في ثنايا السور كآدم وإدريس ولوط ويونس وموسى وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام بالإضافة إلى أسماء أخرى.

إننا بالاستماع لخطاب القرآن نجد أنفسنا كل مرة في أجواء رسول من الرسل مع قومه ونجد جحود كل قوم يتكرر مع أقوام آخرين بالخطاب نفسه إما تزامنا او تعاقبا، هذا اللقاء الاستثنائي في الوجود لا يوفره أي كتاب من الكتب، فنجد أنفسنا مؤمنين مع كل رسول ونبي ومؤمنين بالنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، كما نلتقي مع الأولياء والصالحين والصالحات، ولك أيها القارئ نموذج امرأة فرعون التي آمنت بموسى وطلقت عرشه وكنوزه، فعليك أن تتصور حجم الإغراء الذي كانت فيه، لا يصمد أمامه الآن العشرات من العلماء إن لم نقل المئات، وحينما يصور لنا القرآن موقف امرأة فرعون وإيمانها بموسى ونقارنه بما يجري اليوم، فإن

الملايين من الرجال والنساء لا تستطيع اتخاذ هذا الموقف وهذا القرار باتباع موسى عليه السلام، وهو لم يمكن له بعد في الأرض، إنه أمر يصيب بالذهول، إنها بصمة امرأة؛ بصمة قبس من النور العظيم.

ونضيف أن القرآن هو فضل الله الذي جعلنا نؤمن بكل الأنبياء ومنهم موسى عليه السلام، وإلا قلنا أن فلق البحر مجرد "أسطورة" بمعنى اليوم كما يروجون الآن أعداء الحق وأعداء القرآن ولولا القرآن لما آمنا بعيسى عليه السلام.

يخبرنا القرآن أن كل الأنبياء والرسل دينهم واحد وهو الإسلام وأتباعهم مسلمون، ولا وجود لشيء اسمه الأديان، وهذا أمر طبيعي ومنطقي، لأنه لا يمكن أن يرسل الله أنبياء ورسلا متناحرين ومتحاربين.

دينهم واحد وإن تعددت الشرائع كما تسمى اليوم قوانين، واكتمل الأمر وختم بمحمد صلى الله عليه وسلم بالشرعة الأخيرة، والمنهاج الأخير، وهذا الاكتمال معناه أننا أمام سنن لا تقبل التغيير والتبديل، بينما قوانين البشر اليوم قد يظهر ضعفها او نقصها وفسادها في اليوم الأول الذي تطبق فيه، وبهذا نكون أمام مفهومين:

مفهوم السنن التي لها الصلاح الدائم (سنن الله وسنن نبيه الصحيحة).

أما سنن المفسد فهي التي تسن وفق قوانين ظرفية "وفي خدمة الملأ من القوم وفي خدمة الاستكبار، اي استكبار الأقوياء على الضعفاء بقانون القوة الذي يشرف على نهايته بسنة الله القوي الذي ليس كمثله شيء.

والاستكبار هو طبقة الملأ التي تواجه كل نبي وكل مصلح، إلا أن استكبار اليوم وصل من الغرور لا مجال فيه للتراجع، لأن سقوطه، أي سقوط منظومة الفساد التي تحكم العالم وبالأخص بلاد المسلمين، التي قسمت تطبيقا لخريطة سايكس بيكو ١٩١٦م إلى دويلات، هي اليوم، "تشكيلة الدول العربية"، ووضعوا قانونا دوليا بعد سقوط الدولة العثمانية، ينص على حق الدولة في الوجود وحقها في الدفاع عن النفس، بنود براقة ومغرية، و ما هي في الحقيقة إلى

حماية لخريطة سايكس بيكو واستمرار التجزئة وتمزق المسلمين ومنع كل محاولة للوحدة لأنها "تتعارض مع القانون الدولي"، هذا القانون أيضا يحمي "نظام العربية" لتغييب "النظام العربي" الذي أساسه اللسان العربي وليس اللغة العربية. هذا النظام بدأ بـ"اقرأ".

اقرأ واللسان العربي:

"جاء القرآن ليرفع رتبة النظر لدى أولئك البدو والرحل إلى مستوى كوني فسيح لا يزال إلى اليوم مجالا مطلقا للسياحة العلمية المعاصرة"(٧).

ارجع أيها القارئ "ارجع إلى عالم البداوة، وأنصت إلى هذا القرآن وهو يربي الإنسان العربي القريب عهد بجاهليته، يربيه بما وصل إليه الإنسان المعاصر بتصوره للكون وعالم الخلق، إلى أحدث ما وصل إليه الإنسان المعاصر وزيادة على مستوى الإدراك، لا تفاصيل الجزئيات، عظمة القرآن بلاغيا، تكمن في اختزالها لأسرار الكون بإيجاز وجزالة ... كلماته وحروفه على قدر عظمة المتكلم"(٨)، وعلى قدر عظمة المتكلم، وجه النورسي نقدا بشدة لمفهوم البلاغة، الذي "ارتقى مفهوم البلاغة عنده من مجرد مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو مراعاة المقام كما هو عند البلاغيين... إلى مراعاة أركان الكلام كله، بدءا بالمتكلم وانتهاء بالمتلقي"(٩).

وبنظرة ثاقبة إلى ألسنة العالم اليوم، فهي كلها ترجمة هجينة، ولم يعد هناك لسان يتكلم لسانه الأصلي لذلك إذا كان هناك حديث عن الترجمة والانفتاح والتلاقح والتثاقف"، فإن القرآن هو "الترجمة الأزلية لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم.. وكذا هو لسان الغيب في عالم الشهادة... وكذا هو أساس وهندسة وشمس لهذا العالم المعنوي الإسلامي، وكذا هو خريطة للعالم الأخروي، وكذا هو قول شارح، وتفسير واضح، وبرهان قاطع، وترجمان ساطع، لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه"(١٠).

ونضيف إلى قول النورسي رحمه الله: القرآن هو الترجمة البيانية لما ورد في كتب الأنبياء والذين سبقوا محمد صلى الله عليه وسلم والترجمة البيانية جاءت لتفضح إبليس ومن دار معه في معارضة الحق وتحريف الكلم عن مواضعه أو من بعد مواضعه، من "دليل الفعل الذي

يبينه اسم بلاسة في لسان الأميين الفطري، وهو للقماش الذي بليت خيوطه وفقدت تماسكها ببعضها، ومثل هذا القماش هو المثل على دليل الفعل "بلس" ودليل اسم "إبليس" منه وهو لفقدان وبطلان الحجة وسيادة سلطة الهوى والظن بعيدا عن الحق"(١١).

ومن يتبع إبليس والهوى مصيره التمزيق، والمتفكر الآن في حال العالم لا يبقى له مجال للشك كيف عم التمزق ووصل الذروة وهو ما توضحه سورة سبأ في قوله تعالى :﴿ **وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد**﴾[سبأ:٧].

وسنة الجاحدينّ أنه كلما ظهر الحق، تعرض للمقاومة والتكذيب، فيظهر الاختلاف والافتراق "فتشعب الناس في الأرض كل منهم يحمل طورا لسانيا يوافق الطور الذي سبق الاختلاف عند المكذبين، والطور الجديد عند المصدقين"(١٢).

وتعاقب الأنبياء والرسل ما هو إلا نتيجة لموقف الناس من الرسالات، "مع كل رسالة حدث تصديق وتكذيب وكان هذا هو سبب ظهور ألسن متعددة تفترق عن بعضها بالكلام والدليل"(١٣).

ويضيف سمير إبراهيم حسن بقوله "لقد تطورت جميع الألسن بفعل النظر والبحث والعمران ومن فيهما زاد قدرها العلمي تبقى أدنى من البيان والتفصيل، وكذلك يبقى إنسانها قاصرا عن تحقيق موقف الخليفة"(١٤).

﴿**هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين**﴾ ١٣٨ آل عمران، والبيان كشف وتفصيل الشيء، ودليله أوسع من دليل العلم. فالقرآن لا يضم في أنبائه وبلاغاته علوما كما هو العلم الذي نعرفه، بل هو وعاء لجميع العلوم ومنهاج لسلوك الإنسان الذي يسير على سبيل صيرورة خليفته"(١٥).

وعلى هذا الأساس جاء في البلاغ: ﴿قال الذي عنده علم من الكتب أنا آتيكَ به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل: ٤٠].

وفيه بيان قدرة الذي عنده علم من الكتاب على الفعل والسرعة فكيف يكون فعل وسرعة الذي عنده علم الكتاب كله.

ويحذرنا الله سبحانه وتعالى مبينا شكوى الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**﴾ [الفرقان ٣٠]. وهجران القرآن هو هجر للسان العربي المبين، الذي يبين لنا الله المأرب من جعله عربيا:﴿**ولعلكم تعقلون**﴾ يوسف ٢/الزخرف ٣.

فهجر القرآن يسوق إلى هجر العقل وهو هجر للمقارنة والموازنة والحكم، يظهر ذلك من اتباع قوم الرسول لقول الذين كفروا: ﴿**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه**﴾ فصلت ٢٦.

"وظهر لغوهم في اللسان العربي المبين في أعمال الذين اشتغلوا في اللسان، وفي أعمال الشارحين، وانتشرت أعمالهم بين الناس ظنا من الجميع أن أعمالهم من اللسان العربي المبين، وحرفوا كلمة "نسخ" التي تدل على إرجاع الشيء ذاته، وجعلوها تدل على زال يزول وأبطل يبطل، وجعلوا كلمة "لغة" علما على اللسان العربي المبين، والكلمة تدل على الباطل، وهذا ما أراده الذين كفروا من طلبهم "والغوا فيه" فحولوا القرآن إلى قراءة" لغوا... وحوصر البلاغ باللغو"(١٦).

﴿**فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم**﴾ [الأحقاف ٣٥].

ويظهر من هذا التوجيه أن "عجل" تدل على نقيض صبر، لأن فعل عَجَلَ يمنع الإنسان من الوصول إلى فهم وفقه أي مسألة، ومنها غياب فقه المراد من معنى الأساطير.

تحرير مراد معنى الأساطير:

جاء في المعجم الوسيط [سطر الكتاب: كتبه، وسطر فلانا: صرعه، وسطر الشيء بالسيف قطعه، وسطر الكتاب سطره، وسطر الورقة: رسم فيها خطوطا بالمسطرة، وسطر العبارة ألفها، ويقال سطر الأكاذيب وسطر علينا: قص علينا الأساطير. الأساطير الأباطيل والأحاديث

العجيبة، وفي التنزيل (إن هذا إلا أساطير الأولين) واحدها إسطار، وإسطر وأسطور، الساطر: القصاب، والساطور سيف القصاب، والسطر الصف من كل شيء، يقال سطر من الكتابة وسطر من الشجر (ج) أسطر وسطور وأسطار [جمع أساطير] "دليل كلمة أساطير من دليل فعل أسطر" وتدلنا كلمة مسطور بالبلاغ في سورة الطور "وكتاب مسطور" على صفوف كلمات الكتاب وفي البلاغات الأخرى تدلنا "أساطير على ما سطره، الأولون وسجلوه في مخطوطات تتعلق بما جاء في الرسالات السابقة وعلى الأخص الوعد المتعلق بالخروج بعد الموت، وفي جميع البلاغات قائل ﴿**إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾ هم الذين كفروا في جدالهم مع الرسول عند تلاوة الآيات عليهم وذلك في جوابهم عن سؤال: "ماذا أنزل ربكم" يكون جوابهم إنكار يوم البعث.

وفي موقفهم مما يبلغه الرسول من بلاغ بقولهم ﴿**إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾ يدل على أنهم يعلمون بوجود مثل هذه البلاغات والإنذارات المسطورة في مخطوطات رسالات سابقة كالتوراة والإنجيل، ولأنهم كافرون فهم لا يصدقون البلاغ وحجتهم في تكذيبهم أن الوعد بالخروج لم يحدث مع آبائهم، فكيف يصدقون ذات البلاغ والإنذار"[١٧].

ويضيف سمير إبراهيم حسن ناقدا لكل من التفاسير والمترجمين المعاصرين بقوله: فكلمة أساطير تدل عند الكافرين على قول كاذب، وتكذيبهم لقول أساطير الأولين يدفعهم لتكذيب ما يتلى عليهم من آيات، ولا أدري كيف فهم أصحاب المعجم قول الكافرين "إن هذا إلا أساطير الأولين" حتى جاءوا به شاهدا على قولهم (الأساطير: الأباطيل والأحاديث العجيبة).

لقد علق الكذب بكلمة أساطير وسار جميع المتعلمين على طريق الكافرين، ولم يتكلف احدهم النظر في بلاغ القرآن.

ويؤكد البلاغ على ما تدل عليه كلمة "أسطر" من صف وتسجيل وخزن للمعلومات في كتب مسطورة، سواء كان ذلك في كلمات الحق أم في كلمات البلاغ: ﴿وكل **صغير وكبير مستطر**﴾ القمر ٥٣.

فما فعله لغو الكافرين ومن سار على سبيلهم أبعد الناس عن البلاغ المسطور، واستخفوا به بزعم أن ما فيه (أباطيل وأحاديث عجيبة) ﴿**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**﴾، [الفرقان ٥].[١٨]

أما في نقد المترجمين والترجمة الجارية نقدم ترجمة إبداعية وليست مضللة ذلك أن في اللسان الانجليزي: تحويل كلمة Myth إلى كلمة "أسطورة" في حين أن الكلمة الانجليزية تدل على الخيال والافتراء"[١٩].

وكلمة Myth في الإنجليزية لا تختلف عن الكلمة الفرنسية Mythe إلا بزيادة حرف (E).

وبناء على ما سبق نستطيع القول أننا أصبحنا تبعا لما سطره المبطلون قديما ولما سطره المعاصرون من ضلال وافتراءات باسم العلم، والمواجهة القائمة اليوم بين الكتاب المسطور بالحق والكتب المسطورة بالباطل وبالأخص التي تعتبر كتبا دينية، وعلى ذكر كلمة دين يكون لزاما علينا قول كلمة الفصل في التلاعب بكلمة "الدين".

الدين في لسان القرآن:

جرت العادة عند الدارسين في بلاد المسلمين افتتاح أعمالهم بمقولتين أصبحتا أغنيتان تردد، تذكرنا بالمقدمة الطلالية للشعراء العرب قبل البعثة المحمدية.

المقدمة الطلالية المعاصرة في الدراسات:

يتم الافتتاح دائما في تناول كلمة ما في المعجم العربي وتناولها في لسان القرآن بتعبيرين اثنين: الكلمة لغة والكلمة اصطلاحا.

فمن اتفق مع الله سبحانه وتعالى واصطلح معه، حتى أصبحت كلمة لغة عَلَمٌ على القرآن، متناسين أن القرآن جاء ليرفع من رتبة النظر إلى كون فسيح لا يزال إلى اليوم مطلقا للسياحة العلمية المعاصرة، أي الكلمة التي تقول عنها لغة هي كلمة أو لفظ في الاستعمال

البشري، وتم الارتقاء بها بتوظيفها في الوحي وفق سياقات متعددة ومقاصد متعددة لم تكن مألوفة لدى العرب وحتى لدى غيرهم، ومن ذلك كلمة "دين"، ودين الإسلام بوحيه ارتقى بالعرب من الرأسمال اللفظي إلى الرأسمال العلمي وإلى الرأسمال العُلوي.

كلمة دين في لسان البشر (العرب).

دين من فعل دان به، أي اتخذه دينا ومذهبا وحالا وعادة ومن دان له بمعنى خضع له وأطاعه، ومن دانه بمعنى هلكه وقهره وحكمه وساسه.

وهذا في العرف البشري أن دين مشتق من فعل دان يدين، والسؤال من السابق هل اسم "دين"، أم فعل دان يدين.

فالمنطق يقول ينبغي أن يكون هناك دين ينتج عنه فعل دان– يدين وبالعودة إلى القرآن فالدين يعني الطاعة والحكم ويوم الحساب والشرعة والمنهاج باختصار الإيمان بالله وكلماته، وهذا الإيمان لا يقهر صاحبه أو يذله، بل يقويه ويعزه وكل حديث عن دين الله فهو الواحد الأحد المؤسس لتعريف الدين، أما الإنسان مخول له فهم مراد الدين من الوحي الإلهي وليس من نظريات نشوء الدين، وعلى ذكر النشوء، تعددت النظريات في نشوء الدين والفلسفة..." فهل يستطيع أصحاب هاته النظريات أن يجيبونا عن نشأتهم؟ فهل الذي يجهل نشأته يستطيع أن يحدد لنا نشأة ما، تتعلق بالوجود وقضايا تتعلق بالغيب، ومن حيل عقيدة الاستحمار التي انطلت على المسلمين لما وضع لهم المترجمون مقابلا للدين هو Religion، فأصبح كل ما يكتب عن Religion روليجيون يترجم على انه دين وخطاب في الدين وفي هذا السياق نورد "شهادة لجمال الدين شرقاوي يقول: "دهشت كثيرا عندما بحثت عن اسم الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام في الأناجيل الحالية فلم أجد له ذكرا لا في التوراة ولا في الأناجيل كلها...

لقد تعددت الشرائع والكتب الإلهية عند آدم ونوح، وإدريس وهود وإلى إبراهيم وبنيه من بعد إسماعيل وإسحاق وكثر أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام إلى أن جاء يحي

وعيسى عليهما السلام، فكانا آخر أنبياء بني إسرائيل، وبما أن الإله المعبود كان واحدا أحدا، فلا بد وأن دين هؤلاء الأنبياء جميعا كان واحدا هكذا يؤدي العقل السليم والفكر المستنير.

وتعدد الأنبياء دليل على فساد العباد، وابتعادهم عن المنهج الحق والدين الواحد"[٢٠] ويضيف جمال الدين شرقاوي: "لقد سألت الكثيرين من علماء المسيحية في الغرب عن اسم الدين الذي يدينون به كما ورد عن المسيح عليه السلام وللأسف كانت مفاجأة لهم ولم يجبني أحد ولم يبينوا لي اسم الدين الذي جاء في العهد القديم أو اسم الدين المسيحي كما جاء في الأناجيل..."؟[٢١]

فبحثت عن الكلمة الانجليزية روليجن (Religion) التي هي الترجمة المزعومة للكلمة دين العربية والآرامية، فلم أجدها في كل الترجمات الانجليزية لأسماء الكتاب كله بعهديه إلا عند بولس ويعقوب فقط وبغير معناها المتعارف عليه، فوردت في الأصول اليونانية بمعنى اليهودية وليس بمعنى الدين اليهودي والمحققون يعلمون جيدا أن اليهودية تشير في أولى معانيها عند أهلها إلى الجنس اليهودي قبل ان تشير إلى الدين الذي يعتنقه هؤلاء اليهود.

ووجدت في رسالة يعقوب الكلمتين ديانة ومتدين وهما في الأصول اليونانية على التوالي بدون ذكر اسم الديانة، وفي سفر الأعمال المنسوب للوقا وجدت على التوالي الكلمتين متهودين وديانة السابق ذكرها عند يعقوب"[٢٢] وكل ما هو موجود في الكتاب المقدس: " يهودية ومتهودين وديانة ومتدين، مع ملاحظة أن الكلمتين يهودية ومتهودين آرميتان، والكلمتين ديانة ومتدين يونانيتان في أصلهما"[٢٣].

وعن التحريف والإخفاء في مجال الكتابة، نشير إلى "أن اليهود لم يكتبوا شيئا عن اسم دينهم وحذفوه من أسفارهم المقدسة، كما حذفوا اسم الله من أسفارهم وأتوا بدلا منه بالأربعة أحرف (ي هـ و هـ) فغاب عن أسفارهم اسم الدين واسم صاحب الدين، ولذلك كان من ضمن المعالم الأساسية التي جاء به السيد المسيح عليه السلام هو إظهار اسم الله للناس من بعد أن أخفاه اليهود من كتبهم، و حذا المسيحيون حذوا اليهود فحذفوا بدون علم منهم اسم الله من كتابهم"[٢٤].

وعن الترجمة المزعومة لكلمة دين العربية والآرامية جاء في الموسوعة الفرنسية Encyclopédea universalis أن كلمة Religion كلمة غامضة ومجهولة الأصول ولا يوجد لها مقابل في الثقافات الأخرى.

وعن اللعب بالحروف والتخريب نشاهد اليوم مقابل (ي هـ و هـ) (داع ش) وهي كما زعموا اختزال "للدولة الإسلامية في العراق والشام" مع ان هذه الدولة لا وجود لها، وإنما الموجود حركات تخريب وإفساد تمولها وتسلحها دول إفساد في الأرض باسم دين الإسلام. وبمرور السنين سيتساءل أبناؤنا مستقبلا عن معنى "داعش" والخوض في المفهوم والدلالات ولن يخرجوا بطائل، إنها "لعبة الترميز"، بل جرائم الترميز، المهم هو تلطيخ الإسلام وتشويهه وقد نسوا أن وعد الله حق وأنه قادم لا محالة، وهو أمر حي لا يموت ولا ينسى وهو النبأ العظيم في قوله تعالى:﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾[التوبة: ٣٣].

سيظهر الله دينه على كل التسميات المسماة دين، كما أن اسمه "الله" سينتقم من كل الذين اخفوه، أو عليهم بالتوبة والرجوع إليه. وإذا كنا قد أشرنا إلى ان اسم "الله" وكلمة دين، تم حذفهما في الكتب المقدسة، فالأمر لا يختلف عن الترجمة المعاصرة للقرآن إلى الألسن الأخرى فعوض اسم الله استبدل باسم Dieu أو God واستبدلت كلمة دين بكلمة Religion وعدنا إلى عقيدة التحريف الأولى والتي هي مستمرة، وهل هناك جريمة في تاريخ البشرية أكبر وأعظم من إخفاء اسم الله واسم دينه، وعلى ذكر إخفاء كلمات وتعويضها بإنتاج كلمات أخرى لتحل محلها نستحضر كتابا طريفا لأمبرتو إيكو بعنوان .La Production des signes

وإذا كانت ترجمة العنوان هي إنتاج العلامات وغيرها أو بترجمة أخرى لهذا العنوان: إنتاج الأسماء إنتاج الألفاظ، إنتاج المقولات، يقول أمبرتو إيكو: "وظيفة المقولات بأنواعها لها خاصية غامضة او ضبابية"(٢٥).

وهذا الاستعمال الضبابي هو الذي يؤدي إلى كثرة التعارض والمفاهيم دون ثبات وكأننا فوق رمال متحركة.

وبموازاة أمبرتو إيكو كتب رولان بارث قائلا "إذا أردت أن أتخيل شعبا خياليا، أستطيع أن أسميه باسم مخترع"[٢٦] "وما يجب التركيز عليه في الشرق ليس علامات أخرى، ولكن ميتافيزيقا أخرى وحكمة أخرى وإذا ما ظهرت من جديد، ستحقق الاختلاف، وتتحقق طفرة او ثورة في نظام العلامات، وعليه يجب أن نكتب يوما تاريخ ظلامنا الخاص"[٢٧].

ولذلك كان السعي الأسمى للقرآن بأمره العظيم (اقرأ لتبديد الظلام وتعميم النور في الأرض وعلى الأرض، إنه التوازن الكلي والإصلاح الشامل.

اقرأ والإصلاح:

إن نظام "اقرأ" هو نظام إصلاح شامل أفقيا وعموديا، هو أمر السماء أو قل هو إصلاح السماء للإنسان وللأرض، إنه إصلاح فساد عم الأرض ، أصبح الإنسان معه تائها ضالا غريزيا بالرغم من التفوق الصناعي والتكنولوجي الذي وصل إليه.

رغم هذا التفوق ثبت فشل الإنسان في إقامة نظام اجتماعي متوازن ونظام توزيع للثروة توزيعا عادلا، باختصار فشلت كل التجارب البشرية وأصبحنا نعيش سجنا جماعيا بل محرقة جماعية.

وتفاديا لهذا الفساد كان خلق الإنسان أو نشأته متوجا بالهداية والإصلاح على يد الأنبياء من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وبالنبوات والرسل كان ارتقاء الإنسان عبر سلسلة من الإصلاحات، وإذا كان الإصلاح وفق كتاب خاتم هو القرآن، فإن تمثل آياته هو أساس الارتقاء في السلوك والتصور في شتى الأبعاد، وليس الارتقاء البيولوجي المفترى، بل من سبقونا كانوا أكثر منا بسطة في الجسم والعلم.

ولو سلمنا بزعم اكتمال الحالة البيولوجية للإنسان اليوم، فإن "اكتمال" بيولوجيته لا تحميه من السقوط في السلوك الغريزي والسلوك الفوضوي والبهيمي، ولا سبيل للنجاة من هذا السقوط إلا الارتقاء وتمثل أوامر السماء (أوامر الله) ﴿**وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يومنون بالآخرة**﴾ الزمر ٤٥.

وحينما يترجم المسلمون اليوم كلمة Reforme من اللسان الفرنسي ويعطونها بزعمهم مقابلا هو الإصلاح، يكون دورهم "كمترجمين" مجرد راجمين بالغيب، إنها ترجمة مضللة لأن Fome= شكل و Refome =شكل جديد، وشتان بين مضمون القرآن واللسان الأعجمي المستخف بالإنسان الذي يعمد كل مرة لإنتاج شكل جديد بناء على التلاعب بالحروف وهذا هو دأب اللسان الفرنسي، وما شابهه من سلالات بنيت على حرف لاتيني وهو بناء خارجي يسهل فيه التلاعب باللسان، وفي هذا السياق يقول بنسالم حميش: "نستطيع القول أن اللسان الفرنسي كأفعى تعض ذيلها، لتغير جلدها، ولكنها لا تسكن بعيدة بزخرفها المطابق لنوعها وطبيعتها"[٢٨]. والذي يولد وينشأ في بيئة لسانية أفعى، يكون منذ نطقه أو تلفظه الأول قد تسمم، وكلما كبر ازداد رأسماله من السم الذي ينهكه وينفثه في جيرانه وبلده، أي يصبح لسانا ينفث السموم والتلوث لتتسع دائرته جغرافيا حسب توسع نفوذ الدولة، التي تتوسع بناء على أصل فاسد ولسان حامل للفساد والتضليل، والأصل الفاسد مهما غلفناه بالمساحيق وإن كانت جديدة فإنه يزيد الإفساد تعقيدا، وتكون نهايته الغرق.

وعن فساد الألسنة وفشلها في إقامة علاقة صحيحة وسليمة بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والكون، انظر مقالنا مركزية الترجمة في تاريخ المسلمين.[٢٩]

والإصلاح الخاتم مع "اقرأ" بدأ عربيا وسيعود عربيا، وإذا كانت "اقرأ" قد بدأت مع العهد النبوي، هذا لا يعني أن دورها قد انتهى، رغم ضعف المسلمين اليوم وخضوعهم لقوى الاستكبار بالحكم والتعليم الجبري، فإن الطور الثاني الأكبر قادم لا محالة وأصواته تطرق الأبواب، وإن كانت القلة هي التي تسمعها فقط، والعدد في ازدياد مع الاتساع الجغرافي، لأنه الأوكسجين الأخير للبشرية.

وإذا كان الطور الأول قد مثله محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره نبيا معلما للعرب ولباقي العالم، فإنه يمكن القول أن مع نزول القرآن بأمر "اقرأ" تم التأسيس لحركة علمية تلقي بظلالها على العالم وقد يتساءل القارئ كيف ذلك؟ والجواب كالآتي:

"اقرأ" والمغرب:

في البداية لا بد من تصحيح مقولة بلاد المغرب وبلاد الأندلس، للاعتبارات الآتية: إن نفوذ المغرب في القرن ١١ و١٢و١٣-١٤ م كان يشمل أقصى جنوب أوربا وشمال إفريقيا، وعليه فالمغرب يتشكل من ضفتين ضفة شمالية وضفة جنوبية، ونقول مغرب الضفتين، وحينما نتحدث عن تاريخ المغرب ينبغي أن يفهم منه تاريخ ضفتين، وحتى وإن قلنا الأندلس، ينبغي أن ندرك أن الأندلس مغربية، وقد يتساءل القارئ، ما الفائدة من تصحيح وسرد هذه الأمور؟ إليك الجواب الشافي: بدأ نزول الوحي في المشرق وانطلقت حركة العلوم ووصل نفوذ المسلمين إلا بلاد المغرب بضفتيه الشمالية والجنوبية، بدأ الإصلاح في بلاد المغرب مع دخول اللسان العربي وتحفيظ القرآن، وتجاوز المغرب التجزئة السياسية لتظهر الدولة المركزية، فعمم تعليم العلم وأصبح المغرب = يساوي العلم، وقد يدخل معنا في الجدال من يرى بأنه كان هناك تفاوت في الحركة العلمية بين الضفة الشمالية والجنوبية، فنقول له هذا الوضع لا ينقص من قيمة المغرب، المهم أن الكل جرى في الشمال والجنوب (أقصد الضفتين) الكل كان تحت مظلة المغرب، إن شمس الاسلام طلعت من المشرق، وأصبحت في المغرب ساطعة وهاجة أصبحت قطب جذب للطلاب الأوروبيين وللملوك وأبنائهم، وأصبح المغرب واللسان العربي مرادفا للعلم.

هذه المكانة المرموقة للمغرب هي القصة الكبرى المسكوت عنها اليوم، تحتاج إلى بعث وإحياء من جديد بعيدا عن مركب النقص الذي أصبح ضحيته كثير ممن يعتبرون أنفسهم من النخب في ظل هيمنة المركزية الغربية.

ارتكزت هذه المركزية على ادعاء غير منصف، وذلك بالقول أن مصادر الوعي الأوروبي هي الإرث الإغريقي والروماني، وحبكوا مؤامرة صمت حول الإرث أو المصدر الذي غذى وساهم بفعالية في تحرير أوروبا، ولعل المحاولة الأولى قام بها روجي غارودي حينما أصدر كتابا بعنوان PROMESSES DE L'ISLAM "وعود الإسلام" وفيه صرح بما سماه التركة الثالثة؛ الإرث الثالث معتبرا الغرب مجرد حادث عارض، وثقافة مسخ انسلخت عن جذورها، فادعت منذ قرون بأنها تنحدر من إرث مزدوج يوناني روماني، يهودي مسيحي.

فكان انبثاق "المعجزة اليونانية" لأنها تنكرت لمنابعها الشرقية، منها آسيا الصغرى، أيونيا، الفرس، ومصر، إذ أدت علوم هذه البلدان إلى افتتان فيتاغورس وأفلاطون، لذلك الإخصاب المتبادل. (٣٠)

وفي انسجام مع شهادة غارودي، خصص آلان دوليبرا صفحات طوال وفصلا كاملا في كتابه "Penser au moyen âge" "أن تتفكر في العصر الوسيط" بعنوان: الإرث المنسي، ويقصد الإرث المنسي للمسلمين أو المصادر الإسلامية إلى حدود القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين حينما كان الغرب جزئيا في ظلمات، هلت عليه مجموعة من الأنوار الشرقية المتعددة، والذي يجب على كل متخصص في العصور الوسطى أن يذكر ويصرح به لكل أطراف الحوار هو القول بأن: الغرب ولد من الشرق(٣١).

إلا أن كلمة الشرق تخفي الدور المغربي وإسهامه الكبير في تعليم أوربا وبخاصة جزئه الشمالي (الأندلس) ولولا وساطة المغرب لما كانت أوروبا وما وصلت إليه من فتوحات علمية، إما تعلما مباشرا باللسان العربي أو عن طريق الترجمة.

ويضيف دوليبرا: " ساهم العرب في صنع العقل، ولا ينبغي أن نمر على إسهاماتهم مرور المعرضين، نعم إني أقولها بصراحة: لقد كان للعرب حضور حاسم في تشكيل الهوية الفكرية لأوروبا، ولا يعترض على هذا الكلام إلا منكر للحقيقة.

إن النزاهة الفكرية تفرض علينا القول إن علاقة الغرب بالأمة العربية تمر أيضا من خلال الاعتراف بالإرث المنسي للعرب"(٣٢).إلا أن اسم الشرق يحجب اسم المغرب ودوره، لأن المغرب كان السفينة التي حملت لهم العلوم ومصادرها، وكل هذا تم بمنطقة نفوذنا الشمالية (الأندلس)، فالأندلس تعني المغرب والمغرب يعني الأندلس، فكيف انتقلت هذه العلوم من المغرب إلى أوروبا وهو ما سنعرج عليه فيما يأتي من سطور، والأمر يتعلق بالعلم الذي يعلو التعليم والترجمة، هذا العلم جعل من المغرب المعلم الأول للغرب.

المغرب المعلم الأول للغرب وليس أرسطو:

سبق أن رأينا أن الدور المشرقي أسس حركة علمية نشيطة اتخذت من بغداد عاصمة لها، وانتقلت من بغداد إلى فاس وقرطبة وطليطلة حيث بدأ دور المغرب في ظل الإسلام وبخاصة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ففاس عرفت أول جامعة في العالم ثم تلتها الحركة العلمية في الأندلس، إلا أن الخاصية هذه المرة للدور المغربي تختلف عن الدور المشرقي، حيث أصبح موقع المغرب جسر عبور لا غنى عنه في تدفق العلوم ومركز ثقل حقيقي في عملية البناء، والقوة القادرة على إنجاز التطلعات وإحداث التحولات النوعية في المسار الأوربي والعالمي، بل كانت السبيل إلى القوة الذاتية عبر مخاض عسير أنجب أوربا القوية، هذه القوة كان أساس بدايتها الجنينية مع ترجمة أول كلمة سواء من العربية إلى اللاتينية أو إلى القشتالية، وعن الانتقال من مركز بغداد إلى طليطلة، وعن الثقل الذي أصبحت تحظى به، يقول دوليبرا التاريخ يعيد نفسه: "ففي القرن الثاني عشر أصبحت طليطلة في العالم المسيحي ما كانت عليه بغداد في عالم المسلمين ويصعب هنا تحديد أسماء كل المترجمين وعناوين الترجمات، إنه يكفي أن نذكر أنه في طليطلة تمت ترجمة ابن سينا إلى اللاتينية وذلك بفريق صغير مكون على الأقل من ابن داود اليهودي عربي اللسان ضمن الانتقال من العربية إلى القشتالية، ومن دومينك كونديسالفي(Dominique Condisalvi) مسيحي ضمن الانتقال من القشتالية إلى اللاتينية"(٣٣).

وكان من بين نتائج الترجمة من العربية إلى اللاتينية والفشتالية "تعريب الفكر اللاهوتي للمسيحيين في القرن الثالث عشر هو الظاهرة الأساسية، أي ينبغي الرجوع إلى هذه الحقبة المبعدة التي تكفل فيها نوع من الإسلام بتصويب الحكمة الغربية رمز كل الامبريالية والكولونياليات، بينما الغربيون يعتبرون أنفسهم هم الورثة الشرعيون للحكمة الإغريقية، التي تغدي كبرياءهم وافتقارهم، فما كان بإمكانهم أن يحصلوا على ذلك لولا وساطة العرب واليهود"(٣٤).

"وتقلص أراضي المسلمين في الغرب أصبح يقابله انتقال الفلسفة من أرض الإسلام إلى أرض المسيحية وانتقلت على هذه الصورة "حركة انتقال مراكز الدراسات" وكان للناطقين بالعربية من غير المسلمين دور فعال... بعد أن انهارت البنيات السياسية للمسلمين في الغرب"(٣٥).

وحركة انتقال الدراسات هنا تمثل البداية الحقيقية لما يسمى بالاستشراق التي عرفت فقط بحركة الترجمة أو طلب العلم بالخصوص في الأندلس.

فلماذا هذا الاهتمام بالأندلس، ذات الحضور الإسلامي من قبل الأوربي؟

هنا يذهب إدوارد سعيد إلى القول "إن اهتمام الأوروبي بالإسلام لم يكن مستمدا من الفضول بل من الفزع إزاء منافس للمسيحية، توحيدي ومتقدم ثقافيا وعسكريا، ولقد أظهر مؤرخون عديدون أن أقدم الباحثين الأوروبيين في شؤون الإسلام من أهل الجدل في القرون الوسطى"(٣٦).

أما محمد ياسين عريبي فيذهب إلى أبعد مما أورده إدوارد سعيد بقوله: "وقد تحققت مغامرة قرطبة حينما استولى الفونسو السادس سنة ١٠٨٥م عليها فأصبحت مكتباتها المتنوعة والمتعددة بما في ذلك أمهات الكتب بمكتبة الحكم الثاني هي المصدر الثابت للاستشراق لتأسيس العلوم والمعارف الغربية، وإذا كان للشيطان حيله المتعددة في تغريب الإنسان عن وجوده فإن الاستشراق بدأ بتغريب العلوم العربية وذلك إما بنسبتها للفكر اليوناني القديم، أو بنسبتها إلى مترجميها كما فعل مع قسنطين الإفريقي الذي كان ينسب ما يترجمه إلى تأليفه الخاص أو كما فعل ألبرت الكبير الذي ينسب مقاصد الفلاسفة للغزالي ليوحنا الإسباني"(٣٧).

وإذا كانت هذه شذرات فقط عن ما تعرضت له علوم المسلمين وكتبهم ترجمة ونهبا وسرقة، والآلاف من مخطوطات المسلمين خارج ملكيتهم وانتزعت منهم انتزاعا، فكيف لنا اليوم أن نقف أمام الطالب ونحدثه عن تاريخنا وتاريخ علومنا اعتمادا على القليل الذي بقي لنا؟ أليس الأمر فيه مغامرة؟ أليس هناك بديلا للتاريخ من أجل التحرر؟ وهل كان الأنبياء مؤرخين؟

استطاع الأنبياء دعوة أقوامهم في غياب كتب التاريخ، ولعل النموذج الأكبر هو محمد صلى الله عليه وسلم، والحديث عن كتب التاريخ هو حديث عن الكتب بشكل عام، وعن المكتبات، وبذكر المكتبات نعود إلى "اقرأ" والمكتبات.

اقرأ والمكتبات:

يقول المؤرخ بيتر فيلد Butherfield " نعلم ونكتب جنس التاريخ الذي يلائم تنظيمنا"[٣٨]. ويلاحظ الكثير أنه إذا كانت هذه الملاحظات صحيحة، فمستقبل التاريخ أسود قاتم، ونقول بأن مستقبل التاريخ إلى الأفران وما التجارب البشرية إلا تجارب تاريخية أثبتت ظلمها وفشلها وعذابها للإنسان، وعليه نكون على أبواب عصر نعيش فيه بالدين ولا مجال للعصر بدون دين، هذا التاريخ المظلم والمنهك والمحرق، بدأ الصبح فيه يتنفس لسيعصر هذا التاريخ من أجل عام فيه يغاث الناس، لأن هذا التاريخ المظلم إذا ألقينا عليه "نظرة إلى الوراء، يعطي الانطباع أن الحادثة المدهشة هي غزارة الإنجازات التي حققها علم التاريخ... ليس فقط السرعة إلى الأمام، ولكن أيضا اتساع عرض الجهة التي أنتج فيها وليس من الصعب الاستخلاص أن التاريخ غارق في أخدود حفرته عجلات ثقيلة لعربة الكتابات التاريخية للقرن ١٩ م"[٣٩].

وأمام هذا الهول والطوفان من الكتب والمجلات والمقالات جاء دور أمر "اقرأ" ليتربع على عروش المكتبات، لأن هذا الأمر، أمر الله الحي يعلو كل المكتبات وكل الكتاب، وكل الكهنة وكل اللسانيين وكل المؤرخين وكل علماء الاجتماع، وكل "علماء مقارنة الأديان"، و"علماء حوار الأديان".

في البدء "اقرأ" وفي النهاية اقرأ وبينهما ما نعيش اليوم من حروب وأمراض وويلات، وهنا ينبغي مساءلة الخبرة البشرية التي ابتعدت عن أمر "اقرأ" (نظام الوحي الرباني)، إلى أين وصلت أيها الإنسان بخبرتك؟ إلى أين وصلت ببحثك؟ وماذا وجدت؟

كُتبت الملايير من الكتب، والآلاف من كتب مناهج البحث- أما أنت أيها الانسان الذي بقي فيه شيء من الفطرة، ألم تر انك تتحرك بين أيدي بشرية في تحصيلك "العلمي"، أنت بين شبكتين عنكبوتيتين من الكتب، شبكة كتب المصادر والمراجع وشبكة كتب مناهج البحث، فأنت تتبع سبل الإنسان الذي ضل وفقد البوصلة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **لكل جعلنا شرعة ومنهاجا**﴾ [المائدة: ٤٨].

والآية تدل على ما ساد قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وقبل "اقرأ" شرائع ومناهج وبدأ أمر النبوة الخاتم ولم يستغرق أكثر من ٢٣ سنة، هي مدة النبوة ثم رفعها الله، أما الحكم والتعليم الجبري اليوم بشرائعه ومناهجه يلفظ أنفاسه الأخيرة، والكرة الثانية لأمر "اقرأ" هي عودة الشرعة وعودة المنهاج، وبهما تنتهي الشرائع والمناهج، لأن المناهج ما هي إلا تمزيق للإنسان وتمزيق للإدراك والوعي، فـ"اقرأ" اليوم هي في مواجهة المكتبات ومواجهة الأطروحات الجامعية، التي في حالتها العامة مجرد طقوس للحصول على الشواهد والمناصب.

أما العلوم الوضعية، ومناهجها المرتبطة بالإنسان فقد اختزلها الفيلسوف الفرنسي ميرلوبونتي في كتيب صغير بعنوان «La prose du Monde» [٤٠] ومجمل قوله: "إنك تنظر إلى العالم انطلاقا من نظم كتبه إنسان" وعليه تكون مجرد منتوج بشري على حد تعبير إدغار موران، والخلاصة أن "اقرأ" أكبر من كل نظريات القراءة وكل نظريات التلقي، إنها تجمع في تلابيبها الإراءة والسماع، فالقراءة تنطبق على الحرف الواحد والتلاوة هي الاسترسال، والترتيل هو تلاوة مع علو سقف التلاوة بضبط مخارج الحروف وحركاتها وأبعادها إن ترتيبا يتقدم أو ترتيبا يتأخر، وتكون بهذا "اقرأ" قد جمعت في حقيقتها تلابيب القراءة والسماع وكذلك الكتابة، وكل ما نتج عنها عبر الزمن من أدوات العلم والقلم والأدوات والورق، وما شهدتها تطورات الرقي عبر التاريخ من أجهزة وحاسبات وشاشات وأقلام وبطاقات رقمية وعلمية (بالأسود والأبيض) أو بالألوان أو ليزيرية أو كريستالية، وما يستجد من إبداعات واختراعات في عالم الكلمة والرقم والخط والقلم. وما يرتبط بها من صغير وكبير من الآلات والأدوات إلى نهاية الحياة الدنيا، كلها غيض من فيض مما احتواه نور اللوح المحفوظ عن نور السماوات والأرض، واقرأ أول القراءة والكتابة من هذا النور العظيم لرب العالمين وما بعدها نبع لها دائم"[٤١].

-إن تداول نظام "اقرأ" الذي هو القرآن تدبرا وفهما يصبح له امتداد اكبر من إرثنا وإرث البشرية.

-تداول القرآن أكبر وامتن من كل العقائد.

-تداول القرءان دائرته أكبر من كل الدوائر الفقهية والفلسفية.

-تداول القرآن أوسع من كل المدارس المعلنة والمستترة.

-تداول القرآن شرعة يعلو كل الشرائع.

-تداول القرآن منهاجا يعلو كل المناهج.

مداد حرف القرآن اكبر من أبحر المداد.

-"اقرأ" التي تساوي النظام القرآني وتفسير ما جرى وما يجري هي "الانتماء العظيم"(٤٢).

"هذا الانتماء العظيم جعل الشخصية القرآنية إن كانت مؤمنة تراها ذات قيمة عظيمة حتى لو كانت فقيرة في مكانتها المادية والاجتماعية، بينما الشخصية غير المؤمنة حتى وإن كانت (عظيمة) في منصبها ومالها وقومها، تراها (حقيرة) لا قيمة لها ولا وزن ولا اعتبار في إحساس الناس وتفكيرهم منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا، إن السبب الحقيقي وراء هذه العظمة وتلك الحقارة، نابع من (الانتماء)، فالنبي موسى عليه السلام (عظيم) أكثر من فرعون مصر لأن سيدنا موسى عليه السلام، مستمد عظمته من انتمائه لله، فكل شيء فيه ومنه وله اسم بالعظمة اللدنية أما فرعون فتكَبَّر من دون حق قائلا: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾، النازعات ٢٤.

فقطع اتصاله بعظيم السماوات والأرض فكان من الظالمين"(٤٣).

واهم ما يميز شخصية أبطال القصص القرآني هي الحركة، وإليك أيها القارئ نماذج من طبيعة (الحركة) بالوصف لعدد من الأنبياء.

"النبي نوح عليه السلام حركته يمكن وصفها بالمائية بعد الطوفان العظيم"(٤٤).

النبي إبراهيم عليه السلام: حركته يمكن وصفها -(بالمشرقية) في العراق إلى سوريا إلى فلسطين إلى مصر إلى الحجاز.

النبي موسى عليه السلام حركته يمكن وصفها ب(البحرية) لعلاقته بالبحر حتى الخروج من مصر(٤٥).

النبي عيسى عليه السلام: حركته يمكن وصفها بـ (العلوية) بعد أن رفعه الله إلى عالمه السماوي(٤٦).

النبي محمد صلى الله عليه وسلم حركته حركتان، الأولى (سماوية) في الإسراء، والثانية (أرضية) وهي الهجرة من مكة إلى المدينة والحركة الخالدة هي تخصيب الحرف العربي بأبعاده المتجاوزة لقدرات الإنسان.

وانطلاقا من الانتماء العظيم أوجه رسالتي للقارئ ولكل البشرية.

إن الإسلام هو دين الله منذ آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، والرسالة كالآتي:

إن دين الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم دين رحمة للعالمين وأتباع كل نبي ورسول هم مسلمون.

وسبق أن أمر الله بني إسرائيل بتبليغ التوراة إلى الناس.

-إن عامة المسلمين اليوم في حاجة إلى التحرير من أئمة النفاق والشرك والضلال.

-إن عامة النصارى في حاجة إلى التحرير من أئمتهم وضلالهم وظلمهم.

-إن عامة اليهود في حاجة إلى التحرير من أحبارهم وتحريفهم وتضليلهم.

-إننا اليوم أمام الفرصة الأخيرة لعلماء بني إسرائيل ليخرجوا من صمتهم ليقولوا كلمة الحق، قبل وقوع الكرة الثانية، وهم يعرفون القرآن كما يعرفون أبناءهم.

يا علماء وحكماء بني إسرائيل إن "نصر الانتماء العظيم" على عتبة البيوت، وقد بدأ يطرق الأبواب، إن نظام "اقرأ" هو الانتماء العظيم، وهو "النسب العظيم"، وهو "الشجرة العظيمة"، وهو "أكبر سفينة في الدنيا".. وهنا أذكركم بقوله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿**ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب**﴾ غافر/٣٤.

إن سفينة محمد صلى الله عليه وسلم، سفينة أعظم نظام فهي ليست من ألواح ودسر كما كان الحال مع نوح عليه السلام، بل سفينة آيات لا تبلى ولا تهلك.

وإن المواجهة بين أمر الله السماوي "اقرأ" الأمر الحي الذي لا يموت. أمره الحي يعلو ويهيمن على كل الكتابات والخطابات والتحريفات وما شابهها. إننا في عصر لا بد وان هناك

كتابا معينا هو المنقذ للبشرية، هذا الكتاب هو في وسط الملايير من الكتب،[٤٧] وهنا أتذكر عنوان كتاب امبرتو ايكو الموسوم بـ «N'espérez pas vous de débarrasser des livres» "ألا تأملون في التخلص من الكتب" وهو عنوان فيه حكمة بالغة لأن الله سبحانه وتعالى يقول مخاطبا يحي عليه السلام: ﴿**يا يحي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا**﴾ سورة مريم الآية ١٢.

لم يقل له خذ الكتب بصيغة الجمع وإنما بصيغة المفرد وهو كتاب واحد عينه له، وفي هذا السياق لنسأل أنفسنا: من منا يأخذ اليوم الكتاب بقوة الذي هو القرآن، وأي مثل ينطبق على الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوه؟ ومن أراد الجواب فإنه في سورة الجمعة وبها القول الثقيل والبليغ، وبما أن عقيدتنا تأمرنا بالإيمان بكل الأنبياء والرسل فإن غيرتنا اليوم أعظم من أي وقت مضى على ما أخفي بما جاء به موسى وما جاء به عيسى عليهما السلام، وهنا لا يفوتنا النبي إسرائيل يعقوب عليه السلام الذي لم يكن يوما رجل حرب ولا فساد ولا افتراء ولم يؤسس يوما دولة، وتأسيس دولة باسمه تمارس ما يخالف هذا النبي العظيم الذي جاء ذكره مقرونا بالعلم في قوله تعالى: ﴿**وإنه لذو علم لما علمنه ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ يوسف ٢٨.

إن لعنة "إسرائيل عليه السلام" آتية لا ريب فيها، واليوم الانتماء "لاقرأ" أكبر من أي انتماء للآباء، وعليه تكون الساحة العالمية بين كتلتين أو فسطاطين:

بين **بني إقرائيل نسبة إلى** "**اقرأ**"، وبين **بني إسرائيل** ومن سلك سبلهم، اقرأ هي الأولى والأخيرة وبينهما الكرة الثانية تليها العودة الثانية، اقرأ تتربع على عرش الرحمان، لتسحب القواعد الواهية التي تقوم عليها عروش الشيطان، وعليه نكون أمام ثنائية في المواجهة عرش الرحمان، – وما الرحمان....؟– وعروش الشيطان إنها المواجهة بين بناء الرحمان وبناء الشيطان.

ونكرر لك مجددا أيها القارئ: "اقرأ" هي الانتماء العظيم، والنسب العظيم، والنظام العظيم، والسفينة العظيمة، والبوصلة العظيمة، والنجاة العظيمة، إنها الخلاص العظيم من ثقل التاريخ المريض والكتابات المريضة والخيال المريض،"اقرأ": تعني في سلم السماء مستمسكا بحبل

الله الممدود، وهنا أذكر بسؤال وجواب الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله عن السؤال الآتي: ومتى تنتهي هاته الكرة؟ حين نعود ثانيا عبادا لله. فإن شئتم فأطيلوها وإن شئتم فقصروها.

وبما أني مؤمن بالقرآن فإن احتلال القدس وفلسطين لا يحزنني لأنه يؤكد لي درجة اليقين وعين اليقين بما يتجاوز سدرة المنتهى أنه كتاب ووحي من عند الله، وليس لعبا ولهوا وهزءا، إنه الكلام يتكلم ويكلم متلقيه. وبما أن عصرنا عصر الصرف والمصارف نصرف الآية إلى ما يلي: ﴿**قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم**﴾ الحجرات ١٦.

وبما أن الدين والعلوم تعتمد على أسماء وأفعال وطرق في الكتابة والخطاب نقول لهم:

أتعلمون الله بأسمائكم–أتعلمون الله بمناهجكم، أتعلمون الله بسياساتكم، أتعلمون الله بطقوسكم، أتعلمون الله بفلسفاتكم، أتعلمون الله بتاريخكم– أتعلمون الله بوضعكم، أتعلمون الله بتضليلكم.... أتعلمون الله بشرائعكم، أتعلمون الله بمجلس أمنكم، أتعلمون الله بمكركم... والقائمة تطول.

ثم لنصرف الآية الآتية في قوله تعالى (مخاطبا موسى وهارون عليهما السلام: "قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى" طه.

وبصيغة المفرد إني معك أسمع وأرى وبصيغة الجمع إني معكم أسمع وأرى، بل أعلم السر وأخفى.

إنه دين الإسلام أيها القارئ أين ما كنت لا يأمر بالقتل، ولا يأمر بالسرقة والنهب سواء للفرد أو للشعوب، يأمر بالبر والإحسان، ويأمر بإحياء الإنسان وإصلاحه ومن خرج عن هذا النظام، لا فهم له للإسلام، أو يريد أن يتحامل على الإسلام، إنه ليس دين حرب وفي الوقت نفسه ليس دين استسلام، من قاتل المسلمين يجوز مقاتلته بناء على شرع الإسلام وبناء على كل الشرائع الوضعية، إن الإسلام هو الحب والصلاح والإصلاح الشامل، وهنا تذكير للمغترين بالحكم والتعليم الجبري والرقمي، فهو بدوره سيواجه حرب وثورة الرقيم، إنها عودة سورة الكهف

ورقيمها، إنها باختصار عودة غار حراء الذي هو الكهف في الجبل، أي عودة أعظم كهف في الدنيا ترسو سفينته فوق جبل "اقرأ" وهل يستطيع إنسان أن يحيط بجبل "اقرأ" بل هو جبل وبحر في الوقت نفسه، "اقرأ" بسم ربك الذي خلق... اقرأ باسم ربك الذي خلق وفوقها باسم الله الرحمان الرحيم، التي تعلو كل الأسوار وكل برج.

والسلام عليك أيها القارئ منهيا مقال حالي هذا بالأثر والتوقيع بقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾. يوسف/٢١.

الهوامش

(١) – مارتن هيدغر: الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديدة المتحدة الطبعة الأولى ٢٠١٢، ص ص٦٤٧–٦٤٨.
(٢) – أحمد خيري، العمري: البوصلة القرآنية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٣٢ هـ/٢٠١١م، ص ٢٤.
(٣) – أحمد خيري العمري، المرجع السابق، ص ٢٩.
(٤) –المكينة استعرناها عن إدغار موران في كتابه: la Méthode 4–les idées leurs habitats leurs vie, leurs mœurs, leurs organisations, éd. Seuil, 1991, p.163.
(٥) – لسان الوحي نقل اللسان العربي البشري من التردي إلى آفاق غير معهودة لا عند العرب ولا عند غيرهم.
(٦) – فريد الأنصاري: مجالس القرآن ج ا مدارسات في رسالات الهدي المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، دار السلام، ط ا، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ص ٣٩.
(٧) – فريد الأنصاري: مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور، دار النيل مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ–٢٠١٠م، ص ٢٤٦.
(٨) – المرجع نفسه، ص: ٢٤٧–٢٤٨.
(٩) – نفسه، ص ٢٥١.
(١٠) – فريد الأنصاري: مفاتح النور، المرجع السابق، ص ٢١٥–٢١٦.
(١١) – سمير إبراهيم حسن: منهاج العلوم، دار الساقي بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٤٣.
(١٢) – المرجع نفسه، ص ٤٦.
(١٣) – نفسه، ص ٥٤.
(١٤) – سمير إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص: ٥٤–٥٥.
(١٥) – المرجع نفسه، ص ٥٩–٦٠.
(١٦) – سمير ابراهيم حسن منهاج العلوم، مرجع سابق، ص ٥٨–٥٩–٦٠.
(١٧) – سمير إبراهيم ص: منهاج العلوم، مرجع سابق، ص ٧٠.
(١٨) – المرجع نفسه، ص ٧٣.
(١٩) – نفسه، ص ٧٣.

(٢٠) – جمال الدين شرقاوي: معالم أساسية في الديانة المسيحية: دراسات متخصصة للمثقفين من دعاة الحوار الإسلامي المسيحي للقارئ المجد الصابر لأصحاب النظر العابر ص ١٥٣.

(٢١) – المرجع نفسه، ص ٢٥٥..

(٢٢) – المرجع نفسه، ص ٢٥٥.

(٢٣) – جمال الدين شرقاوي: معالم أساسية في الديانة المسيحية، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢٤) – المرجع نفسه، ص ٢٥٦.

(25) – UMBERTO ECO, la Production des signes, éd françaises١٩٩٢ , 1er publication LGF, p 11.

(26) –Roland Barthes, L'empire des signes, éd seuil, 2005 et 2007, page 11.

(27) –ibid. Pp 11-12.

(28) –Ben salem HIMMICH, au PAYS de NOS CRISES essai sur le mal marocain, Afrique orient, 1997, p 138.

(٢٩) – محمد بنعياد: مركزية الترجمة في تاريخ المسلمين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، حزيران ٢٠١٧م، العدد ٣٣.

(٣٠) – روجي غارودي: وعود الإسلام، ترجمة دوقان قرطوط، مكتبة مذبولي، القاهرة ١٩٩٣، ص ص ٢١-٢٢-٢٣.

(31) –Alain De libera, penser au moyen âge, éd. seuil, Paris 1991, p 78.

(32) –Ibid., p 104.

(33) – Alain De libera, Penser au moyen âge, op cit p 111.

(34) – Alain De libera, La Philosophie médiévales, p 142.

مدرسة طليطلة تعني حسب كلارافور Clarafoz بجامعة أوطاوا الكندية: أعمال الترجمة من العربية إلى اللاتينية والقشتالية والرومانية خلال القرنين ١٢ م و ١٣م المنجزة بطليطلة وبرشلونة وطرونة وغيرها من الأعمال بين ١١٢٥-١١٣٠ وانتهت ١٢٨٧م.

(35) – Alain De libera, La Philosophie médiévales, p 142.

(٣٦) – إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير: صبحي حديدي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٦، ص ١١٩.

(٣٧) – محمد ياسين عريبي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، نقد العقد التاريخي ١، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، ط ١، ١٩٩١، ص ١٣٧-١٣٨.

(38) – Cf. CHENG Te-k'un, p 73 chirif quarterly, n° 23 (1965) ou p. 51 dans Fuerwerker (ed) history in communist echinst chino 1968, Buther field, the en englilisman and history (1944) p 1.

(39)– BARRACLOUDGH, TENDANCES ACTUELLES DE L'HISTOIRE, ED , FLAMMARION PARIS 1980 , P 327.

(40) –MER LEAU PONTY, La Prose du monde, éd Gallimard paris 1969.

(٤١) – جمال شاكر البدري: فن السيناريو في قصص القرآن، حوار فكري وحضاري جديد في النص، دار صفحات الدراسات والنشر، ط ا، دمشق ٢٠٠٨، ص ١٤٢.

(٤٢) – جمال شاكر البدري: فن السيناريو في قصص القرآن... مرجع سابق، ص ٢٦.
(٤٣) – المرجع نفسه، ص ٢٦.
(٤٤) – نفسه، ص ٢٧.
(٤٥) – نفسه، ص ٢٧.
(٤٦) – نفسه، ص ٢٦.
(47) –UMBERTO ECO, n'Espérez pas vous débarrasser des livres, Librairie générale, France Paris 2010.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. إدوارد سعيد: تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير: صبحي حديدي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، دار الفارس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٦.
٢. جمال الدين شرقاوي: معالم أساسية في الديانة المسيحية، دراسات متخصصة للمثقفين من دعاة الحوار الإسلامي المسيحي للقارئ المجد لأصحاب النظر العابر.
٣. جمال شاكر البدري: فن السيناريو وقصص القرآن، حوار فكري حضاري جديد في النص، دار صفحات للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨.
٤. روجي جارودي: وعود الإسلام، ترجمة دوقان قرطوط، مكتبة مذبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.
٥. سمير إبراهيم حسن: منهاج العلوم، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

فريد الأنصاري: مجالس القرآن، ج١، مدارسات في رسالات الهدي المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٦. فريد الأنصاري: مفاتح النور في مفاهيم رسائل النور، دار النيل، مصر، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٧. مارتن هيدغر: الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

8. Alain De Libera, Penser au moyen âge, éd. Seuil, Paris1991.

9. Alain De Libera, la Philosophie Mediévale, quardrige, éd. PUF, Avril 2004.
10. Bensalem Himmich, Au Pays de nos Crises, Essai sur la mal marocain, Afrique Orient, 1997.
11. Baraacloudgh, Tendances Actuelles de l'histoire, éd. Flammarion, Paris 1980.
12. Butherfield, the englilisman and History 1944,
13. Clarafoz, Traduction Appropriation : le cas des traducteurs toledans de 12 et 13 siècles, Vol2, 1988.
14. Edggar Morin, la Méthode, 4, les idées leurs Habitat, leurs vie, leurs mœurs, leurs organisation, éd. Seuil, 1991.
15. Merleau Penty, la Prose du Monde, éd. Gallimard, Paris, 1969.
16. Roland Barthes, l'Empire des signes, éd. Seuil, 2005 et 2007.
17. Umberto Eco, n'espérez pas vous débarrasser des livres, librairie Générale, France, 2010.
18. Umberto Eco, la Production des signes, éd. Française 1992, 1ère Publication LGF.
19. Encyclopedea Universalis.